

الثقافة : الرهانات والتحديات (*)

محمد علال سيناصر
أكاديمية المملكة المغربية
الرباط

سيادة قيديم كلية الآداب والعلوم الإنسانية في هذه الجامعة. أيها الأساتذة والطلبة الكرام، رجالا ونساء . أشكركم قبل كل شيء جزيل الشكر على تفضلكم بتنظيم هذا الملتقى الطيب وعلى تكرمكم بالحضور معنا .

ويسعدني أن تكون جلستنا هذه في ظل تأثر أعلام الثقافة الوطنية بهذه المنطقة المباركة من المملكة المغربية، وأن نعترف فيما بيننا بالفضل العظيم الذي أسداه إلي البحث والإبداع وإلي مجالات التعريف بآدابنا في الأصقاع السوسية وعطاء أهلها في الآداب العربية. كلمة «التحدي» مصدر من فعل "تحدى" - كما تعلمون - وقد جاء في لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور في مادة (حدا) : "حده وتحده وتحراه معنى واحد ، قال : ومن قول مجاهد كنت أتحدى القراء فأقرأ أي أتعدهم" ورواية عن الجوهري في أصلها العربي هذا وفي مقابلها بالفرنسية وبالإنجليزية (challenge) تفيد كلمة التحدي من المعاني ما يصيب من مدلول متقارب . فقد تكون كإسم وفعل بأن هذا الشخص غير قادر على التناول الى هذا العمل، رغم أن هذا العمل قد يكون ممكنا . كما تكون بمدلول دعوة شخص ما بإصرار وعناد وتعت إلى القيام بمبادرة أو مخاطرة. أما ثالث هذه المعاني فيفيد الصمود والمواجهة أمام أي هول أو خطر كيفما كان وأنى كان وقد درج اليوم أن صيغة "التحديات" (بالجمع) تفيد ما يغامر به المرء في لعبة أو سباق بحيث إن المتفوق الفائز في هذه اللعبة أو هذا السباق ينال ذلك الرهان. والكلمة تطلق كذلك على كل ما يمكن للمرء أن يربحه أو يخسره في عملية من العمليات، كيفما كانت هذه العمليات. ونفس المدلول يستفاد من مقابل هذه الكلمة العربية، مثلا، في الفرنسية (Enjeu) أو (Pari) وفي الإنجليزية.

هذه بعض رؤوس الأعلام بأسلوب مختصر تمهيدا لمجموعة من التحديات والرهانات، على أن الثقافة تحدد بأنها قادرة على أن تكون ثقافة ملموسة محروسة تؤدي إلى مقاصد معروفة.

وهذا التضارب حول مفهوم الثقافة الذي أصبح تحديا لها أدى إلى الميل إلى تحديد الثقافة ببعض العبارات التي تعبر عن مفارقات : (كوننا نسينا كل شيء) فهذه المفارقة جد

(*) ألقى الأستاذ محمد علال سيناصر وزير الشؤون الثقافية هذا الدرس الجامعي الافتتاحي في مطلع السنة الجامعية 1993 - 1994.

غريبة ، ولا يمكن للمثقف أن يعترف بها رغم أن المراد بهذه المفارقة سهل الإدراك. والقضية الأخرى هي تعدد الجوانب المختلفة للثقافة . ومن ناحية أخرى كذلك اللواقعية التي تميز رجال الثقافة ، وهذا مسلم به لأنهم رجالا ونساء ، من أهل الخيال بحثا وتمتعا به، ثم من يرى الثقافة مجرد بذخ أو مجرد شيء ترفيهي قد يناسب تشغيل الوقت الثالث. فهذه التحديات العامة تؤدي إلى فكرة خطيرة بالنسبة للسياسة الثقافية هي الاعتراف بالأسبقية للثقافة انطلاقا من ضرورة الإقرار بحقيقة "الخبز قبل الثقافة" وهذه النظرة نظرة قديمة وتصدى لها الفلاسفة الذين عبروا عنها أولا منذ فلاسفة اليونان بكلمة أثرت مشهورة باللاتينية (il faut vivre d'abord) primo vivere بالحياة أولا .

هذه التحديات في الواقع هي من السهل الإجابة عنها وتحتاج إلى تربية وتوعية وإدراك وتحسيس، لذلك فإننا نتحدث في هذه الجلسة عن التحديات والرهانات، ونحن في خضم مراهنات صحيحة، وعلينا أن نحاول إدراك الربح أو الخسارة في العملية التي خاطرنا من أجلها ، وفي الميدان الذي نعنيه، وهو هنا ميدان الفكر تأملا وإنجازا، والإبداع فنا وأدبا استمرارا في الحياة الشخصية التي نرضاها لنفسنا، نعني المفهوم الذي يعبر عنه إجمالا بالثقافة. إلا أن الذي هو مقصود ليس هو أية ثقافة، وإنما ثقافة العصر التي فيها وبها يجب أن نفرض كياننا وهويتنا في العالم المتكامل.

فعلا، هناك - أيها الإخوة والأخوات - ثقافة تنتمي إلى العصور الغابرة وثقافة خاصة بالعصر الحديث، والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل هناك فرق بين الواقع الذي كان السابقون يدركون من هذا المصطلح وما يحل محلها من مصطلحات قديمة، وما أصبحنا نحن في هذا العصر نستهدفه من كلمة ثقافة؟ وتفاهما فيما بيننا : ما هي بالفعل الثقافة، وما حقيقتها بالنسبة لواقعنا وللمحيط الذي نوجد فيه؟

إن كل تعمق في تحديدها يؤدي إلى تعمق آخر في الحجاج والاعتراض والأخذ والرد، فالمفهوم في شأنها واسع وقضفاض لأنها في واقعها تشمل المواقف والاتجاهات الناتجة عن العرفان وإمكانات نشر العرفان، سواء بالكتابة أو بالمشاهدة أو بالسماع وهي أيضا الاحساس بالجميل في ميدان الابداع.

وقد حاول بعضهم إبراز مدلول الثقافة اليوم بكونها هي مجموع الهياكل الاجتماعية والتظاهرات الفنية والفكرية التي تميز مجموعة عن أخرى ومجتمعاً عن مجتمع آخر : فهناك مثلا الثقافة الأوروبية والثقافة العربية والثقافة الهندية والثقافة الأفريقية، وهلم جرا. وتعلمون كلكم أن الثقافة الجماهيرية تعني الثقافة التي تنتجها وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة كالصحافة والإذاعة والسينما والتلفزيون.

وهناك اليوم مفاهيم قطاعية، وأخص بالذكر منها ما يطلق عليه ثقافة المؤسسات الاقتصادية أو ثقافة السلام أو ثقافة التنمية كما هو جار به العمل في المنظمات الدولية، وكل

هذا بالنسبة مثلا لثقافة المقاوله وشرح مدلول المقاوله التي قد تكون تصنيعية أو صناعية أو تجارية، وثقافة المقاوله تعني مجموع التقاليد الهيكلية والمهارات.

وبشأن واقع الثقافة في العصور الغابرة، يجدر بالذكر أنها كانت قائمة الذات على أحسن وجه (معنى ذلك أنها لم تكن محتاجة إلى سياسة ثقافية ليستقيم أمرها) ولا سيما بالنسبة للعصر العربي الإسلامي قبل العصر الذي دعي عصر الانحطاط وبعده ؛ فالثقافة وما يرافقها ويواكبها من الممارسات والمعتقدات التي جعلتها فعالة ومنتشرة انتشرا عميما عبر المساجد والزوايا... انتعشت دائما بتدريس أمهات كتب الأدب وكتب الدين والتفسير وشرح الحديث ونشر الأفكار والأمداح، فشاعت في أوساط الحرفيين والعامة والصناع كذلك وكان تأثيرها قويا وبارزا في المحافظة على الهوية العربية والوطنية والإسلامية والاعتزاز بها فيما ورثناه من أشعار وألحان وأهازيج ومؤلفات تذكر بالحوادث والمواقف الأساسية وبالنظرة الشمولية الخاصة لمجتمع متدين مؤمن يقر للعلم والمعرفة والقيم الأخلاقية مكانتها، فسواء تعلق الأمر ببلدان المغرب أو المشرق أو الخارج، كانت للأقدمين ثقافة مخصوصة بزمنها وبيئتها، وكان مثقف الزمن الماضي، وحتى عهد قريب، مدركا لرغبات مجتمعه. ومن خلال كتاباته ومواقفه الفعلية، كان يعمل باستمرار على دعم مؤسساته ودعم أسس نظام الأدب العام وجمالية الحياة.

إن مثقف العصر الحالي يختلف فعلا سواء عاش الماضي الرتيب المحافظ القريب وعرف الحاضر المتقلب الأوضاع والمتطور يوما عن يوم أو لم يعيش إلا الحاضر يرى نفسه في شبه حيرة من أمره ويشعر بانشغال واهتمام في قرارة نفسه، سواء كان مبدعا في الأدب أو الفن أو راعيا للإبداع الأدبي والفني. فمن جهة، هناك الانتماء الماضي الذي لا يمكن التنازل له مطلقا ومن جهة أخرى هناك التيار الجديد الخاضع لتحديات هذا العصر ورهاناته، وهناك مجتمعه ومحيطه وهناك المجتمع العالمي وتياراته، فأصبح المثقف كيفما كان تكوينه واهتمامه وكيفما اختلفت ممارسته مخضرم بالطبع وأصبح توزع اهتماماته جبلة فيه تتصرف في لغته وفي إبداعه وفي كل عطاءاته.

من البديهي أن الواحد منا، عندما يخطر بباله تناول أصناف التحديات التي واجهها الميدان الثقافي في العصر الحديث، ينصرف كلية إلى التحديات الفكرية وهي تشمل في آن واحد التحديات الاجتماعية والعقدية والسياسية، لأنها فيما بينها متداخلة وتكون واقعا عاما يتحكم بصفة أو بأخرى في واقعه الثقافي المتواصل.

إن العالم الجديد الذي أقبلت جحافلُه قد يمثل لنا عملة ذات وجهين اثنين من حيث متغيراته الفعلية: فمن جهة، هناك التحديات التي أسفر عنها انهيار اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية وكتلة البلدان الشرقية التي كانت خاضعة لنفوذه، وبالتالي انهيار العقيدة السياسية والاجتماعية التي كانت ركيزة ذلك النظام. ومن جهة أخرى، هناك

المتغيرات التي تولدت - بالنسبة إلى بلداننا العربية الاسلامية - عن حرب الخليج وعواقبها .
وشاء القدر أن يكون العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي الحالي ، في الواقع ، منطلقا
فعليا للواقع الجديد الذي يشكل بداية القرن المقبل ، وتنعكس أحداثه وتقلباته على الثقافة
التي تعيننا بالدرجة الأولى . وقد كان من نتائج هذا الواقع الجديد أن الغالبية الغالبة من
المنظومات المتعددة الأطراف قد أخذت جذوة نشاطها تخمد وأخذ مفعول نفوذها يخبو ، كما
أن بعض العقائد والمذاهب الجيوسياسية قد ضعف التشبث بها في أنحاء العالم انطلاقا من
مطلع التسعينات ، وليس ذلك في المحيط العربي الاسلامي وحده .

لقد فتحنا عيوننا منذ نحو ثلث قرن على مفاهيم كانت رائجة وعلى أخذ ورد بين
المثقفين في تحديدها وتحديد مدى الاتجاه نحو الانتماء إليها . وليس أضعفها مصطلحات
الأمة والشعب والدولة والوطن والقومية الخ...

تحت تأثير النفوذ العقدي الاشتراكي في عدة أقطار من العالم كان التناحر بين
المثقفين فيما يرجع إلى انتقاء الاتجاهات السياسية والاجتماعية مع غموض بعضها ، فافتن
المثقفون العرب بها كغيرهم من مثقفي العالم الثالث وسيطرت على الاتجاهات وساد الجدل
وكثر التناحر والنزاع وراجت بعض المفاهيم في وسط الفكر شرقا وغربا ، ومنها مصطلحات
مثل التقدمية والاشتراكية العلمية والامبريالية والبروليتارية والواقعية الاشتراكية والعدالة
الاجتماعية والرأسمالية ، وما إلى ذلك مما أدى إلى تهافت النسيج الثقافي العربي بالذات
فضلا عن المناقشات الكثيرة حول الحرية وتصنيفاتها العديدة وفضلا عن التساؤل حول
المقصود من معنى كل تصنيف على حدة ، وكذلك الشأن بالنسبة للديمقراطية التي اتخذتها
بعض الدول الناشئة صفة لصيقة باسمها وحياتها الشعراء واستحثوا الشعوب حولها ، فقال
الشابي شاعر المغرب العربي :

أين يا شعب قلبك الخافق
الحساس . أين الطموح والأحلام ؟
أين يا شعب روحك الشعاع
الفنان . أين الحياة والالهام ؟
أي عيش هذا وأي حياة
رب عيش أخف منه الحمام .

وكان لابد من الخوض في ذلك الغليان النفسي وردد هذا الوعد المتوقد شعراء
المغرب ، وأصبح لابد من الخوض في الغليان الجديد غير واعين كل الوعي بالوضع العالمي
الذي فرض عليهم اختياراتهم أو جعلها على الأقل غير مستقلة كل الاستقلال عن معركة
المعسكرين الكبيرين . وزادت الصهيونية العالمية من هذا الوضع بالنسبة للعالم العربي .

وذلك بطبيعة الحال قبل أن نصل في خضم العالم الجديد إلى تبني مصطلح حقوق الانسان بما فيها مصطلح الحقوق الثقافية والاعلامية للإنسان، وبما فيها من حقيقة وخداع ككل الكلمات السياسية بعضها كلمة حق مرادها باطل. وفي العالم العربي بالذات، وقبل حلول هذا الواقع الجديد في العالم وقبل معرفتنا هذه الحركات المتنامية صعودا، فتح جيلنا عيوننا على المبادئ العروبية التي قال بها مبكرا رواد المفكرين العرب أمثال عبد الرحمان الكواكبي وأمين الريحاني، وأقرب منهما إلينا كان ساطع الحصري صاحب الدراسات المشهورة على مقدمة ابن خلدون. وهذا قبل أن تنتشر بصفة ملحوظة الحركات السياسية المعروفة بأنها غدت اتباعية وأخذت من مناقشات المثقفين ومبادلات الرأي عندهم الجهد الجهد والأثر البعيد في كل من سوريا وفلسطين والعراق والأردن والكويت مذهبا اتباعيا، وسيطرت عليها اتجاهات تشخصها عبارة الاشتراكية العربية التي حاولت أن تستلهم في أن واحد بعض الاتجاهات العربية الإسلامية المتوكلية على التعاليم السابقة لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وتلاميذته في الشرق والمغرب مفارقة ومجابهة لثورة حركة الإخوان المسلمين ونشاط العالم الاشتراكي من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد ومن قبيل الاستطراد في الحركة العربية الإسلامية التجديدية التي كان الشيوخ كالأفغاني وعبده ورضا روادها وحمايتها ودعاتها، وكانت حركة تجديدية فكريا وثقافيا وسياسيا تجدر الإشارة إلى ما قابلها بالمغرب من صدى كان سالما وإيجابيا لتجذره في السلفية المغربية التي سار عليها الشيخ المختار السوسي وشيوخ قبله أمثال الشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ محمد بن العربي العلوي ومعاصريهم كعلال الفاسي وعبد الله كنون، وغيرهما في الحركة السلفية التي عرفتها بلادنا منذ أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات، وعنها تولدت في المغرب الحركة الوطنية الاصلاحية.

كل هذه الحركة كانت في الواقع استجابة للتحديات التي واجهت الثقافة ولا سيما في العالم المتجدد، وليس فقط لأنها كانت أول تعبير عن إرادة الصمود والخلود في الموروث الثقافي العالمي. فسواء تعلق الأمر بالعالم الغربي المتمثل في أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية وكندا) وبلدان أوروبا واليابان، أو تعلق بالبلدان العربية الإسلامية مشرقا وخليجا ومغربا، أو غيرها، فنحن اليوم أمام عالم سريع التقلب والتحول تعلمون خصائصه ومميزاته في ضوء الدراسات المتعددة التي صدرت وما فتئت تصدر تطورات. وقوام هذا العالم الحديث بول مكتفية وغنية ومتقدمة تصنيعيا واقتصاديا في الشمال بطبيعة الحال، وبول ذات خصائص واحتياج وفقيرة في الجنوب.

وإذا كان لهذا الوضع الجديد في العالم من إيجابية مقبولة ومحمودة، فهي مرتبطة بالدفاع عن حقوق الانسان بصفة لم يسبق لها نظير في التاريخ، وبالدفاع - كما أسلفنا - عن حرية الانسان بما فيها الحرية الثقافية والسياسية. ولعل الخاصية التي تميز الوضع الجديد أن الولايات المتحدة الأمريكية قد استفردت بمركز الزعامة في العالم. ودخل هذا

العالم يومئذ في واقع جعل من منزلة الثقافة ورصيد الثقافة في خضمه مشكلا أساسيا، لأن العالم أصبحت له الامكانيات في التوحيد تخدمها ايدولوجيات وتنظيمات يصعب على الارادة المحلية أن لا تنوب فيها. ومن جملة هذا التنظيم أن الدولة بصفتها دولة أصبحت في مختلف أنحاء العالم تتخلى شيئا فشيئا عما لها من مؤسسات اقتصادية وتدخل القطاع الخاص امتلاكها في نطاق العمليات التي دعيت بالخصوصية. وهذا أيضا وضع جديد هو في الواقع تابع لواقع المقاولات. فغدونا في هذه الحالات نفكر بصوت جهير إلى أين تتوجه الانسانية وثقافة الانسانية بعد أن تغيرت المقاييس الناتجة عن حدوث هذا التحدي الحديث الذي جعل من الثقافة التعبير الوحيد عن مقاومة النوبان في كيان آخر.

من قبل كانت المقومات الأدبية والفنية التي ندعوها اليوم عملا فرديا أو على الأصح كانت مبادرة فردية مضمونة الامكانية وحتى لما تشكلت الفرق والمجموعات المسرحية الاوروبية مثلا على عهد شكسبير وموليير وكولدوني، كانت تلك الفرق والمجموعات موجودة بمبادرة فردية تعتمد على عطايا نوبي الشأن والجاه والمال وعلى تشجيع كافة المتفرجين ماديا ومعنويا. لكن المسار الاجتماعي ومعه الحركة الفكرية والفلسفية التي واكبته في القرن العشرين تتحدى ذلك الواقع، فأصبح تجاوز التباين التقليدي بين العامة والخاصة وأصبح رفع سلوك العامة وأصناف العاملين في رفعة الثقافة ومطالبتها بالنزول إلى الشعب. وعبر عن هذا التوجه المثقفون المسمون بالمثقفين الملتزمين منذ بزوغ فلسفة الأنوار. لم يكن الالتزام جديدا ولكنه تجسد مع هيمنة القضايا الاجتماعية على الفكر واستغلتها صناعات الايدولوجيات وعبر عنها بقوة التأثير الروسي تروتسكي مثلا في مؤلفه الأدب والثورة سنة 1925م بأن قال إن الثقافة يجب تسييرها سياسيا لتستجيب لتحدي الثقافات الشعبية. وكان في كتابه هذا يتحدث عن المجتمع الذي قام بروسيا بثورة أكتوبر 1917م. واحتد هذا الاتجاه وبلغ أوجه في التحدي الصيني على عهد ماوتسي تونغ خلال ما دعاه هذا الزعيم بالثورة الثقافية التي كانت كما تعلمون ثورة على الثقافة.

إلا أن هذا التحدي انتهى شأنه بعد ذهاب أصحابه، وشهدنا جميعا المال الذي ألت إليه التحديات الدولية التي حاولت فصل الإنسان عن تاريخه وثقافته، والاستيلاء بواسطة الدولة والسلطة الحزبية السياسية الوحيدة، وبكل عنف وصلابة، على مؤثرات الثقافة وحرية المبدعين شعراء وكتّابا ورسميين وموسيقيين ومسرحيين وعلماء. فكانت تجربة تنويع الثقافة وتسييرها بإدارة تخطيطية تجربة فاشلة رغم أنها قد عمرت عشرات متواليات. ونحن نعتقد في قرارة أنفسنا بل نومن إيماننا صادقا وقويا بأن الثقافة خدمة لمجموع الناس والمجتمع بكامله لكن في إطار حرية المبدع كلما كان المبدع حقيقيا وإلا حرمانا وسائل الاجتهاد الذي يجعل من التغيرات تغيرات يمكننا أن نأمن عليها ونجعلها تسيير في صالحنا.

إن مزايا ازدهار الموسيقى والشعر والتشكيل والطباعة والنشر وجمالية المعمار الهندسي جديرة بأن تمتد إلى كافة أبناء المجتمع وبناته، وهذا هو التحدي السليم والفعال

والايجابي الذي هو جدير بكل استجابة وعون دون قيد ولا رقابة ولا ضغط ولا معاقبة معنوية أو جسدية ولا محاولة لتوجيه الضمائر لأن الله وحده هو ولي الصلاح. ولتلك الغاية النبيلة كان إنشاء منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة بباريس سنة 1946م أي مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولأمر ما كان من بين الأهداف التي شملها اسم هذه المنظمة العالمية الكبرى هدف الثقافة. إن قيامها دليل على الوعي بأن التحدي الكبير الذي يواجه الإنسانية لن يقاوم إلا بالثقافة ونشرها، والميثاق التأسيسي لليونسكو ينص على أنها قد أنشئت للإسهام في استقرار السلم والأمن الدوليين بتقوية التعاون بين الأمم عن طريق التربية والعلم والثقافة والاتصال سعياً إلى تأمين حقوق الإنسان وتأمين الحريات الأساسية لأن الحرب تنبثق عن نفس الإنسان وفي نفس الإنسان يجب أن ندرس قوائم السلام، فكان دور اليونسكو كما قال رجل الدولة الفرنسي إذ ذاك عند افتتاح أعمال أول دورة للجمعية يوم 20 نونبر 1946م هو خلق الظروف الفكرية والأخلاقية والعاطفية التي عليها ينبنى نظام العالم أجمع.

والحقيقة أن اليونسكو استطاعت بلورة إطار عام ومفهوم عملي للثقافة في العالم رغم الاختلافات في الرأي التي سادت بصفة بارزة بين المعسكرين من نشوء اليونسكو سنة 1946م حتى سنة 1990م، أي طيلة أزيد من نصف قرن. ومن جملة التحديات التي أمكن الشرق والغرب صياغتها لفائدة الثقافة عبر هذا الصعيد الدولي تجنيب الثقافة التسبيس وأهوال الدعاية الديماغوجية ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، وجعلها وسيلة للتقريب بين كل الثقافات وللدفاع عن كرامة الإنسان كإنسان فاهتمت بدعم الثقافة في العالم ودعم حقوق الإنسان في كل جهة وفي كل ثقافة وفي كل جامعة فأخرجت أول عمل ثقافي وأصل هذه الحقوق في الثقافات المختلفة. ثم ذلك أولاً في كتاب حول حقوق الإنسان ساهم فيه زعماء مثقفون كغاندي من الشرق وجاك مارتان من الغرب وكان هذا تعليقا على التصريح العالمي لحقوق الإنسان الذي يرجع إلى سنة 1948، وأعطت الحق في التربية، والحق في المشاركة بكل حرية في الحياة الثقافية في المجموعة الأممية أهمية كبرى سهرت اليونسكو على تطبيقها، وتوجت أعمالها يوم 20 نونبر 1959 بالاعتراف في الأمم المتحدة بالحق في تربية الطفل.

وتقليدا لهذا النمط الدولي العام لتنظيم شؤون الثقافة والمتمثل في منظمة اليونسكو، رأت الدول العربية والنول الإسلامية أن ينشئ كل واحد منها علي حدة منظمة إقليمية مخصصة تتناول بالمعالجة والدراسة والرعاية إلى جانب التربية والعلوم قضايا الثقافة على الصعيد العربي وعلى الصعيد الإسلامي، وأعني هنا منظمة الألييسكو ومنظمة الأيسيسكو. وهنا وقبل الانتقال إلى الرهانات الأخرى المعاصرة في الثقافة، تجدر الإشارة إلى المرامي التي استهدفها ممثلو النول العربية في المعارف والتربية وحدودها في نص ميثاق الوحدة الثقافية ببغداد سنة 1964، لكن الجوانب السياسية طغت على الجوانب الثقافية وأجهضت المشروع الذي لا يزال حبرا ينتظر التنفيذ.

تقول المادة الأولى من هذا الميثاق : تنشئة جيل واعد مستنير مومن بالله مخلص للوطن، يثق في نفسه وأمته، ويتلورسالاته القومية والانسانية، ويتمسك بمبادئ الخير والجمال، ويستهدف المثل العليا في السلوك الفردي والجماعي.

تعلمون سيداتي وسادتي أن المستجدات التكنولوجية منها الحادثة فعلا والمحيطه بنا أو المتوقع حدوثها والمؤكد حضورها مستقبلا، قد بلغت حدا من التنوع والتطور بحيث يصعب حصرها وتصنيفها، وهي في واقعها وأبعادها رهانات راهنت الثقافة عليها، ويجب أن تراهن عليها لتربحها كوسائل جديدة تخدمها إن شاء الله وإن شئتم أنتم المثقفون. فلقد أصبح العالم الحديث كل يوم هو في شأن من التغير والتغيير لكثرة المبتكرات التكنولوجية، لكن ما قد يتعين الانتباه إليه ونحن بصدد تفتح الثقافة على كل جديد وطارئ هو أن تحول ذاك الجديد وهذا الطارئ إلي شيء مألوف ومعتاد ظاهرة إنسانية أزلية وهكذا ينسى الناس تماما أو يتناسون ما كان من قبل من المصاعب التي تغير وجهها إلى الاستئناس بالمبتكرات كلما حدثت، إلا أن هذه الظاهرة قد غدت في عالمنا اليوم متسعة الخطو والانتشار تسرع حدوث شتى الرهانات بشأن الثقافة، ولنا أن نضرب المثل في هذا المضمار تدليلا على واقع ملموس، ولیدرك بعض الشباب كيف تندمج المتغيرات بسرعة في مألوف حياة الناس وكيف ينسى المرء باستخدامها ما كان من قبل من التخلف والشقاء.

ولكن هذه الأمثلة على بساطتها : من جملة وسائل الثقافة والتثقيف والتهديب والتعلم، ولا نتوغل في القدم، وإنما نفترف مما عرفنا نحن ولمسنا وعشنا في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي هذا. فهل يصدق شاب اليوم أننا ونحن طلبة كنا نقضي الليالي والأيام في نقل صفحات وصفحات من المراجع والكتب والدروس والعشرات الكثيفة من الصفحات بأيدينا خطيا، فلا نتضايق من الكتابة اليدوية، ولا نحسب للساعات مرورا بفضل هذا الثقف ولا ننزعج ولا ننتبه إلى انزعاج بصرنا، لكن، ما أن ظهرت أجهزة الفوطوكوبي حتى ألفها كل واحد منا واعتبرها أمرا عاديا.

والعمليات الحسابية التي كنا نقوم بها جمعا وطرحا وضربا وقسمة ومتعودين علي انجازها حفظا ذهنيا، أو كما كنا نقول "دمغيا"، كما كان لنا عوننا عليها النباهة الشخصية والجهد الفردي. لكن، ما أن ظهرت الأجهزة الحسابية الالكترونية ولا سيما في السبعينات حتى تبناها الناس في كل مكان وتعودوا عليها، وألفها الطالب والأستاذ في نشاطهما، والتاجر في متجره، بل البقال في دكانه كما المهندس في مخبره. لقد أحدثت تغييرا، ولغيرنا أن يقومه إيجابا وسلبا ولكن، أين هم طلبة العلم والثقافة اليوم مما كان زملاؤهم بالأمس يلقونه من أداء تلك العمليات الحسابية من المصاعب والمشقة؟ وآلات التسجيل الصوتي التي أصبحت تحصى الأنفاس وتأمين كل كلام وكل قول وكل تصريح، ألم تحدث هي أيضا تغييرا مدهشا؟ لقد غدا الأستاذ أثناء درسه، أو المحاضر في مجمعه، أو الخطيب في محفله، كلما

رأها أمامه تسجل خلجات فكره ومكنون علمه أشد يقظة وانتباها لما يقول، إما تحفظا وإما تراجعا.

لقد كنا كذلك ونحن طلبة نحرص كل الحرص على كتابة النقاط الوجيهة ونخطها بأيدينا، ولكن، دون أن نحيط أبدا بتلك النقاط كلها، وأنى لمجموع الطلبة أن يحيطوا بأسرار الاختزان؟ فما أن ظهرت أجهزة التسجيل الصوتي وانتشرت حتى تغير كل شيء. لقد ظهرت هذه الوسيلة فعالة في اختزان المعلومات صوتا، ونشر الثقافة بكل وسط وعلى أوسع نطاق، وسرعان ما ألفها الناس في كل مكان، وبفضلها علا شأن الموسيقى والغناء علوا مرموقا في المجتمعات.

لقد أحدثت أجهزة التسجيل والقراءة هذه والأشرطة المغناطيسية تغييرا فعليا. ولكن، هل شباب اليوم على معرفة بما كان عليه الحال قبل أن توجد هذه الوسيلة؟ ربما كان البعض من فتياننا يعتقدون وقد ألفوها أنها موجودة منذ أن وجد آدم وحواء، أو أنهم يعيشون كما لو أنها وجدت منذ ذلك العهد، علما بأننا نتحدث عن الستينات والسبعينات من هذا القرن إجمالا، ولسنا جميعا من عهد نوح ولا من آل عاد وتمود، نحن كافة من أهل هذا القرن، لكن الله كتب لنا أن نشاهد المدهش والمعجب والمبهر من الرهانات في عالم الثقافة، ومن المبتكرات المتلاحقة والمتواصلة والتي لم يكن من حظ الذين سبقونا أن يقفوا عليها ويستفيدوا منها.

أما جهاز التلفزيون، فربما كان هناك من أبنائنا وبناتنا من لم يطرحوا أبدا لا على أنفسهم ولا على من هم أكبر منهم سنا سؤالا عن عهد نشأته بالذات وعن عام انتشاره بالمغرب إنه بالنسبة لهم شيء موجود، والمتغيرات التي أحدثها التلفزيون والفيديو بقدر ما قد تغيب عن وعي البعض، بقدر ما تعيننا مباشرة وجماعيا، لأن دراسة جوهر المؤثرات التي ما فتئ التلفزيون يحدثها في المجتمع وبالنسبة لصوغ الثقافة ونشرها، دراسة تفرض علينا نفسها بكل إلحاح وإذا ما أطللنا من جهة أخرى على الرهانات التي تترتب على استعمال الحاسوب (الكمبيوتر) بالنسبة للبعد الثقافي فضلا عن إمكانات الاتصالات الحديثة، فإننا قد نزداد توغلا في أعماق المبتكرات التكنولوجية التي ربما كانت مظاهرها قد أصبحت لا تثير فضول بعض الشباب والأطفال لشدة ما ألفوا التعامل اليومي معها في عصر تعددت فيه القنوات التلفزيونية وسهل التقاطها عبر العالم. هذا العصر أصبح عصرا لا يقابله في أهميته بالنسبة للمتغيرات عصر نعرفه في التاريخ.

ورغم تعدد الأصناف والأدوات التكنولوجية في مواجهة الثقافة، فلا يمكن لهذه المبتكرات إلا أن تكون دعائم ووسائل لدعم ميدان الثقافة عن طريق تحرير الإنسان من بعض أعباء الحياة اليومية وقيودها، بحيث تتيح له الإبداع الأدبي والفني ومتعة فكرية وبالتالي مضاعفة إمكاناته. فلولو المطبعة ما كان بإمكان الثقافة أو محبي التثقف الحصول على المراجع والكتب والإصدارات المتنوعة بالوفرة التي يريونها. ولولا المذياع ما كان للصوت

البشري (صوت الخطيب أو المغني والممثل) أن يبلغ أسمع مئات الأشخاص مفروزا جليا في القاعات الكبرى أو الملعب العريض. ومن جهة أخرى، ما كان للباحث مثلا أن يمتلك مئات الآلاف من المعلومات ويسترجعها وقتما شاء بكل سهولة ويسر لولا إمكانات الحاسوب. ثم نعلم أنه ما كان للفنون على تعدد أصنافها (موسيقى وغناء ورقص ومسرحيات ومسلسلات وأفلاما سينمائية) أن يتم إنجازها لولا تلك الامكانيات التكنولوجية من الاذاعة والتلفزيون.

كان الكمبيوتر نتيجة مجهود بدأه بلاييندز وباسكال في ق 17 ثم تطور مع شارل بافاج في ق 19 وتطور متجددا بتطور الالكترونيك بالمرور من مفهوم البرنامج المعروف (Programme affiché) إلى مفهوم البرنامج المسجل (Programme enregistré) الذي يتميز بذاكرة تتضمن البرامج والمواد وما يترتب عن كل ذلك من مواد جديدة (la psychologie cognitive) والتقنيات البيولوجية واللايزر والألياف الضوئية ومعالجة الصورة والاستكشاف عن بعد (Scanner)، وإنما لا بد من التذكير بالتقنية الرقمية وما تولد عنها فعلا من الامكانيات التي أصبحت من الآن تعرف باسم الطرق السيارة للاتصال. ومن شأن إمكانات التقنية الرقمية تعديد قنوات البث التلفزيوني إذ يمكن على أساسها ضبط القناة التلفزيونية الواحدة لتصبح على الأقل أربع قنوات. ومدلول هذا أن البضاعة الثقافية من البرامج والمنوعات والتمثيلات سيزداد الطلب بشأنها في العالم بأسره ولا سيما بالنسبة للبلدان ذات الامكانيات المادية والتقنية والبشرية.

إن إكبر رهان تواجهه الثقافة في العصر الحاضر كما نرى ونلاحظ هو ما يسمى عن حق أو عن غير حق بثورة المعلومات. لقد أصبح الإنسان اليوم بفضل ما يتوفر لديه من الامكانيات المعلوماتية وحواسيب تحيط في الآن والتو بشتى المعلومات التي ما كان للسلف منذ آلاف السنين أن يحصل عليها عمرا كاملا.

ولنرجع قليلا إلى التاريخ لنذكر في هذا الصدد بأن الحضارة الزراعية الأولى تعود إلى آلاف السنين، وقد ظهرت عند السومريين ذلك الشعب القديم الذي استوطن بين النهرين دجلة والفرات أربعة آلاف عام قبل الميلاد وقد ظلت هذه الحضارة قائمة الذات، فهي الأم الثقافية للإنسانية جمعاء، لأنها كانت منطلق العلوم في مصر ثم بعد ذلك من بعدها في اليونان متوالية الأحقاب والحلقات حتى كان القرن 18م عندما ظهرت تباشير الحضارة الصناعية. ولكن هذا هو المدمش فعلا، لم تمض إلا فترة تقل عن مئتي عام بين ق 18 وق 20 حتى أطلت الحضارة الجديدة وهذه الثورة المعلوماتية التي لعلها أم الرهانات في العملية الثقافية إطلاقا. ويكفي أن نتأمل تعدد الظواهر التي تكتسيها هذه الثورة من مجرد واقع الحواسيب التي أصبحت إمكاناتها واستخداماتها من الطفرة بحيث لا تعرف حدا ولا استقصاء، بل لقد أصبح بالامكان ربط بعضها ببعض عن طريق الهاتف للتخاطب. وبالامكان كذلك ربط شبكات محلية من هذه الحواسيب بشبكات عالمية لنفس الغاية عن طريق الأقمار

الصناعية. وعلى أساس هذه التقنيات المعلوماتية قامت بنوك المعطيات والهاتف المرئي وطباعة الصحف بمختلف البلدان والقارات، وأمكن دمج عمليات بين المعلومات والفيديو والصوت والنص المكتوب، وهذا ما يدعى بالاعلام المتعدد (Multimédia) كما أشرنا من قبل.

نعم، الانتاجات المرئية الأجنبية سواء كانت مذاعة من الخارج أو كانت بضاعة مستوردة للداخل كثيرا ما يحدث أن مضمونها مخالف أو معاكس لنهج الحياة التي نحيها ولتقاليدنا ومعتقداتنا فضلا عما بها من التحرر السافر والعنف والاباحة، ولكنها تبدو على الدوام في روعة الاخراج وجمال التنفيذ ووفرة الامكانيات التقنية. وليس مدلول هذه الملاحظات أن الانتاجات الوطنية أو العربية هي بخلاف الإتيقان، إنما لابد من اعتبار وجهة التقنيات الحديثة في الانتاج الثقافي. وهنا يبرز الجانب الاقتصادي كما تبرز قضية مهمة في الميدان الثقافي اليوم، ونعني الصناعة الثقافية، إضافة إلى أهمية وسائل الاتصال المنشود الكبرى وبورها في نشر الثقافة. لقد تسربت التجارة إلى عالم الثقافة عن طريق الصناعات الثقافية بصفة هيكلية، ويشمل نفوذها صناعة الكتاب طباعة ونشرا وتوزيعا، وأشرطة الكاسيت المرئية، والأسطوانات والكاسيتات المصورة، والتجهيزات الثقافية بما فيها تجهيزات التسجيل والقراءة صوتيا والمذياعيات والتسجيل المرئي والمسموع وآلات التصوير المرئية المسموعة الخ.

إن عمليات السطو والتزوير المدعوة قرصنة تصيب هذه الصناعة في أكثر من بلد، ولابد من محاربتها. إن تصوير البضاعة والكتب بغير إذن أصحابها ولا معرفتهم عملية بمثابة الكارثة التي تصيب المبدع مؤلفا كان أو مغنيا أو كاتباً أو فنانياً، بقدر ما تصيب الجانب الاقتصادي والرأسمالي الموظف في تلك الصناعات. ولنا جميعاً أن نتساءل عن مدى الربح والخسارة في هذا الرهان.

وإلى جانب تلك الصناعات الثقافية، هناك ظاهرة لابد أن نحسب لها حساباً، خاصة في عصرنا الحاضر لأن تأثيرها إن نفعاً وإن ضراً تأثير كبير، وأعني الاعلان - ونحن ندعوه في بلدان المغرب العربي الاشهار - فهناك من يعتبرون بضاعة الاشهار نوعاً من الابداع الفني أو نوعاً من التسلية ولا سيما في التلفزيون والسينما، وهناك من يرون أن هذا الاشهار مجرد هوس في هوس، وقد يكون بيننا من يعتقدون أن الاشهار علاوة على وجهه الاقتصادي المؤكد قد يشكل مدخلا سليماً لدعم الإنتاج الثقافي. وهذا مع العلم بأن المثقفين طالما ضجوا ضد الاشهار، ليس لغاية ثقافية إنما سعياً إلى الحيلولة دون دفع المجتمع المدني إلى كثرة الاستهلاك، وكيف يكون الموقف إذا أصبح الاشهار هو نفسه ميداناً للممارسة الفنية كما هو معلوم ؟

إن الصناعة الثقافية تستجيب بأشكالها ونوعياتها لحاجات المجتمع الجديد في ميدان الانتاج الثقافي كالكتاب والسينما مروراً بالمسرح والموسيقى والتشكيل والترميم والصيانة

وجودة الحياة، لكن ما نخشاه جميعا وما ندعو إلى تفاديه فعلا هو التصنيع في الثقافة. إن الخطورة تكمن هنا بالذات، كما هو الشأن في خطورة تسييس الثقافة بدعوى جمهرتها على يد من ليسوا مؤهلين في هذا الصدد العام. ولا يعتقد أحد أن هذه القضايا إنما تشغل بالنا نحن باعتبارنا مسلمين وشعوبيا وأهل بلدان نامية أو من العالم الثالث، بل إن هذه الرهانات تشغل حتى البلدان المتقدمة والصناعية، وإن بمنظار آخر وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وبريطانيا، لأنها مصدرة للبضاعة الثقافية من أفلام ومسلسلات وأسطوانات وكاسيتات، ولا بد أن بها مثقفين لا يرضون على هذا النوع من الثقافة. فبقدر ما ننظر نحن من جهة معينة ننظر هي كذلك من جهة معينة، على أن الخلاف قائم حتى بين البلدان المتقدمة الصناعية كما رأينا أثناء مراجعة اتفاقية الكات المشهورة بإقامتها بمراكش.

إن الثقافة في خضم ماجريات العالم الجديد أصبحت موضوع تنافس المصالح الاقتصادية والسعي إلى الربح المادي. فشتان بين ما كنا نعتقه في الثقافة وبين ما هي عليه اليوم في حقيقة أمرها.

إننا في المغرب وفي مختلف بلدان الحضارة العربية والإسلامية لسنا ضعفاء ثقافيا وبدلا من الشكوى كيفما كان مبعثها فمن حقنا الفخر والاعتزاز بمكتسباتنا الثقافية الأصيلة. وإنما علينا أن نهتدي إلى سبيل استكمالها باستثمار الحديث الإيجابي البهي كما يتمسك الياباني مثلا بمكتسباته وطاقاته الثقافية الوطنية، وعرف كيف يجليها في ضوء المبتكرات التكنولوجية والفكرية الحديثة - سواء تعلق الأمر بالثقافة الفردية المعتمدة على المدرسة والمعهد والجامعة والبيت والكتاب والقراءة والاجتهاد الشخصي أو بالثقافة الجماهيرية العريضة المعتمدة على وسائل الإذاعة والتلفزيون والأقمار الصناعية والمسرح والسينما وغيرها، فإن مبدأ الثقافة للجميع يجب أن لا يتعارض مع مبدأ الثقافة لكل فرد، لأن الديمقراطية الثقافية في المجتمع الجديد تقتضي أن يمتد الإشعاع الثقافي إلى القرى والأرياف امتداده إلى المدن والحوضر والعمال في معاملهم والفلاحين في حقولهم كما الشأن نفسه بالنسبة للموظفين في مكاتبهم وللأساتذة في سائر أطوار التعليم بون أن تغفل عن ثقافة الطفل التي علينا أن نحيطها بكامل الاهتمام، لا لأنه سيكون من بعد شابا ورجلا أو شابة وامرأة، ولكن لأن له الحق في أن يعتنى به ثقافيا.

وإذا كانت للوسائل والمخترعات والامكانات التكنولوجية التي رأينا في هذه الجلسة أهميتها البالغة القائمة على أحسن وجه، فهذا الأمر لن ينسينا مطلقا أكبر وسيلة وأعظم أداة لحضور الثقافة وازدهارها في المجتمع الحديث مغربا ومشرقا وشمالا وجنوبا ونعني هنا اللغة وعلاقتها بالثقافة، أو الثقافة وعلاقتها باللغة في نطاق ماجريات التلاحق القائم فعلا في المفاهيم المستجدة في العصر الحالي وفي ضوء التلاحق بين اللغات والاقتراض من لغة إلى أخرى. وهذه الملاحظة تعني اللغة أية لغة بوجه شمولي كما تعني اللغة وتلقيها بوجه خاص، ولطالما تحدث المنظرون اللغويون عن العلاقة بين اللغة والفكر، تسأل بعضهم عما إذا كان

الفكر يعتمد في تصوره على اللغة أم اللغة التي يعتمد تصويرها على مفهوم الفكر. ونحن جميعا نعلم أن لا فكر بدون لغة، وقيل إن المتكلم بلغتين قد يمتلك في فكره وتفكيره نظرتين متميزتين، كما قيل إن الذاكرة والإدراك يتأثران بوجود التعبيرات والكلمات التي يعتمد المرء الترميز فيها، وقديما قبل عهد تراكم الصور الجامدة والمتحركة ضرب المثل بأن من لم يشاهد في حياته الثلج لا يمكنه إدراك صورته، وربما كان من المتعين في بعض اللغات صياغة جملة أو شبه جملة أو أكثر من جملة تعبيراً عما قد يمكن تمييزه في كلمة واحدة بلغة أخرى.

والمحيط الاجتماعي والثقافي أثر في التفاهم اللغوي، فإذا كان المتحدثون بلغة ما ينتمون جميعهم إلى نفس المحيط ولم يكن بينهم استثناء شاذ، يكون التفاهم بينهم يسيرا طالما تعلق تحدثهم بالعادي والرائج من شؤون الحياة وطالما تمسكوا بمفردات نفس اللغة وتعابيرها. على أن المشكل القائم في مجال اللغة هو أن تكون بعض الشعوب تختلف اختلافاً بينا بشأنها، وهذا الاختلاف - كمظهر ثقافي - قد يتجلى في حصول لغة ما عن ثراء لغة أخرى، ومن هنا كانت الترجمة بين اللغات نشاطاً ثقافياً وجيهاً ومهماً.

وحرصاً على البقاء في دائرة اللغة الوطنية ورقيتها وتطورها في مواجهة رهانات العصر الحديث يبدو لنا أن تجدها مستمر في ضوء مختلف المستجدات الثقافية عامة. ومما لا شك فيه أن أجدادنا اللغويين مثل الفيروز أبادي والخليل بن أحمد الفراهيدي من قبله والزبيدي لو قدر لهم أن يعودوا للحياة في هذا العصر لما أمكنهم أبداً أن يدركوا أغوار شتى المفردات والتراكيب العربية الحديثة كالثوابت والمتغيرات والقنبلة الانشطارية والطرق السيارة الالكترونية والعرض والطلب ولأصابعهم انهيار عصبي. فلقد تطورت اللغة العربية كلفة ثقافة متطورة لا تعرف هواناً أبداً، وتطورت كذلك بتطور شتى المستجدات الفلسفية والفكرية والتقنية والعلمية. ومن الواجب علينا مزيداً من التعمق فيها فقد دام حفظ أصولها ورواجها ونحوها وصرفها قروناً متوالية، وكان القرآن الكريم حصناً بقدر ما هي كذلك لغة التعبير الشعري والأعراب عن شتى الأحاسيس والعواطف التي يعز على لغات سواها في العالم أن تحذو حذوها فيها.

وما يزيدنا اعتزازاً نحن المغاربة هو أن لنا إلى جانب هذه اللغة العربية اللغة الأمازيغية التي خلدت تراثاً أدبياً وحافظت على حيويتها وثروتها. فاللغة الأمازيغية بلهجاتها الرئيسية (تشلحيت وتمازيغت وترفيت) قد قاومت الدهر منذ آلاف السنين، وإن بقيت فإنها تغلبت قديماً على باقي اللغات التي عرفت هذه المنطقة الجغرافية، بينما بقيت جنباً إلى جنب مع اللغة الأم لغة القرآن الكريم.

ومعلوم أن جنوداً وقادة من المغاربة الذين كانوا سباقين للدخول إلى الأندلس والاستقرار بها وحتى بجنوب فرنسا كانوا يتحدثون اللهجات الأمازيغية إلى جانب اللغة العربية لغة القرآن الكريم، بحيث إن الازدواجية اللغوية مظهر أصيل عندنا. فالخليفة الموحي بن تومرت المتوفى سنة 524هـ كان سكان منطقة تنمل وسواهم يدعونه باسم أمغار، وهي

كلمة تعلمون جميعا أنها تحوي شتى معاني الرئاسة والقيادة والحكم والزعامة. وهذا الامام الموحدي الرائد كان مثالا ناصعا في الفصاحة وبلاغة اللسان باللغتين معا كما يستفاد من مرويات ابن خلدون في هذا الصدد. وقد بلغتنا أخبار ووصلتنا مخطوطات ومؤلفات كانت مكتوبة بالحروف العربية وقوامها لهجة تشلحيت ويكفي أن نعلم أن أصعب كتب الفقه المالكي فهما واستيعابا، ونعني به كتاب مختصر خليل، كان قد تم نقله إلى الأمازيغية. وكذلك الشأن فيما يرجع إلى رسالة ابن أبي زيد القيرواني وشرح قصيدة "البردة" للامام البوصيري. ورحم الله شيخنا العلامة محمد المختار السوسي فقد أجاد وأفاد في هذا الصدد، وكذلك سيدي محمد بن عبد الله الروداني وهما أيضا كانا مثالين يقتدي بهما رحمهما الله. ومن جهة أخرى، تهالك الباحثون منذ عشرات السنين على دراسة هذا الموضوع، وسلك هذا السبيل على الخصوص مجموعة من المستشرقين كان من بينهم ويليام مارسلي وإميل لاروس وسواهما. ونحن نذكر نشاط صديقنا الأستاذ محمد شفيق في هذا الميدان، لأنه أول من وضع قاموسا عربيا - أمازيغيا جعلنا نستغني عن القواميس الناقصة التي ورثناها عن المستشرقين الكبار.

ونؤكد أن التنوع اللغوي المحلي طالما كان غنيا وسليما لا يزيد السكان إلا توارثا وتراحما ومحبة وتعارفا فيما بينهم كما أنه مظهر ثقافي جاد. وكما هو الشأن في الجانب اللغوي بصفة عامة يعتبر استبطان اللغة استبطانا معرفيا لحقائق المجتمع طريقا إلى فهم أعماقه وخصائصه الحضارية والشعورية ومن شأن القرار السامي الأخير لجلالة الملك الحسن الثاني أيدته الله باستعمال اللهجات التي قامت على أساسها الطفرات المغربية المتصلة ليس في هذا الوضع العالمي الجديد وفي أفق المستجدات، ولكن في مسائل التاريخ المديد البعيد لامتنا التي منذ أن كانت على مدى العصور وهي تسعى إلى التثقيف والتطور وفرض إرادتها في العالم كله.

والخلاصة هي أننا يجب أن نكون فعلا في مستوى التحديات وكسب الرهانات، وإذا أردنا أن نساير الحياة في العالم الجديد يجب أن يكون عطاؤنا فعليا، فلا يحسن أبدا أن نبقي متفرجين على تقدم الآخرين ولابد من أن يكون عطاؤنا في نطاق الحفاظ على هويتنا الثقافية. لابد من الاجتهاد المتواصل والمثابرة المستمرة والاصرار، ليس فقط فيما يرجع إلى الاستفادة الفعلية من التكنولوجيا وتوظيفها وإجادة استعمالها ولكن أيضا في ابتكارها ولاسيما في مجالات الاعلام والاتصال والتجديد الثقافي، على أن سر تقدم العالم الصناعي يكمن في تزويج العلم بالصناعة، وكانت لهذه المأمورية أداة جديدة هي ما نسميه بالتكنولوجيا.

وختاما سيداتي سادتي أكرر لحضراتكم جميعا جزيل الشكر وخالص التقدير على اهتمامكم بالاستماع وعلى تنظيم هذا اللقاء، مكررا لكم أجمل العواطف وأسمىها.

والسلام عليكم ورحمة الله.